بين يدي المعاهدة

•

كان النشاط في الاسبوع الثالث من كانون الثاني سنة ١٩٤٨ محدوداً اقتصر على برقيات قليلة مختزلة جاءت من لندن مركز النشاط ومخزن (الشحنة). ولم تكن تلك البرقيات تتجاوز الدائرة التي تحاول الاتساع شيئاً فشيئاً لتنكشف عما تطويه من نتائج هذه المقدمات الطويلة .

وكم يدهشك ان أفاجئك بسرّ .. بسر قرأته انت يومئذ في الصحف على انه خبر عادي .

أتذكر سفر الوصي الى البصرة في ذلك الوقت ؟ لقد كان ذلك اقتراحاً من تلك السياسة لاشغال الناس باخبار تنقل سمومه وليكون ذلك شافعاً للمعاهدة التي عزموا على ان يعقدوها باسمه كي يحتموا به من شر ما توقعوا من اضرارها وثقل وطأتها .

انهم كانوا يعلمون انها طراز من الاستعمار جد ثقيل فاحاطوها

بكثـــير من الملطفات ، وبكثير من المفاجئات العنيفة ايضاً ليضمنوا نجاحها .

وسيدهشك اكثر من ذلك حين تعلم أن كسر رجل الملك فيصل في سويسرا اثناء التوقيع على هذه المعاهدة كان متصلاً كل الاتصال بهذه الحوادث .. وانه لشيطان ذلك الذي اراد ان يغامر بحياة الملك ليصدق معاهدة الانكليز .

أما صالح جبر – والحق يقال – فلم يكن له علم بهذه اللعبة الخطرة . وحين علم اعتكف في فندقه اكثر من يوم ، واعتذرت البرقيات عن اعتكافه بانه أصيب ببرد طارىء ، ولكنه لم يصب في الواقع ببرد بل أصيب بالخبر .

اعلان المعاهدة

وعلى كل فلم يكن شيء من هذا كله لينسينا انتظار المعاهدة بحذر . نعم كان السياسيون يحسون بكابوس ثقيل مخيف ، وكانت الاندية والصحف واجمة ولم تكن لتندّ كلمة الا مني انا ، فقد كنت اعلق بعيـــد تعليقات صريحة بعدم ارتياحي للمعاهدة ، وان كنت لا اعلم تفاصيلها بالضبط . وكانت الحكومة تنشر صوراً مختزلة من المواد غير المثيرة ، وكنا نرجىء ابداء رأينا فيهـا الى ان تنشر النصوص الكاملة .

حتى كان يوم الخميس ١٥ / ١ / ٤٨ علمنا ان النص الانـكليزي وصل الى وزارة الخارجية وان امراً من صالح جبر وصل مـــع النص يأمر فيه وزراءه في بغداد ان يحتفظوا بالنص إلى ان يعود ،

ولكن جمال بابان وجد الفرصة موآتية للدس على صالح ، فصمم على تعريب النص ونشره قبل رجوع صالح ، وهكذا كان .

مع جمال بابان

وكنت ليلة الجمعة وراء مكتبي في (الساعة) ماضياً في عملي حين رن التلفون ، ولما رفعت السماعة كان مدير الدعاية يحييني ويبلغني رغبة وكيل رئيس الوزراء في ان اشخص بنفسي الى مؤتمر صحفي مهم بعقده (معاليه) في ديوان الرئاسة ليوزع فيه نص المعاهدة .

وفي المؤتمر لم يحدث شيء اكثر من تسليمه الينا النص واعتذاره عن عدم تمكنه من الادلاء باي إيضاح ذي بال في الموضوع .

وعندئذ نهضت انا وقلت لوكيل رئيس الوزراء : كان بالامكان — فيما أظن — أن ترسلوا نسخ هذه الترجمة مع السعاة وتوفروا علينا هذا الوقت الذي أضعناه في الطريق .

وهممت بالنهوض ولكنه اسر الي فقال : ما لهذا دعوتك انت بالخصوص .عندي رسالة شخصية اليك سأبلغك اياها على انفراد ! .

ووقفنا وجهاً لوجه أمام المدفأة في مكتب رئيس الوزراء ، وبينما كنت متكئاً على جناح الموقد أدخن بهدوء وسكينة ، كان هو يقبل عليّ باهتمام بالغ .

جمال — صدر الدين ، لي معك عتاب طويل ، لقد قسوت عليّ ، ولكني الآن أطوي هذا الحديث الى فرصة أخرى .

صدر الدين – ان شئت فانشر الحديث ، وسوف لا تجـــدني معتذراً عن شيء قلته لاني لم أقل الا ما اعتقد . وحتى الآن انا اعتقد انك لا تحسن ادارة مركز رئاسة الوزراء .

جمال – لنترك هـــذا الآن . ولكن هل انت مؤيد للوزارة أم معارض .. ؟

صدر الدين – لا مؤيد ولا مفند ، ولكني اصدر عن رأيي ، واحكم اجتهادي حسب ما اراه للصالح العام .

جمال – هل انت صديق لصالح أم عدو ؟

صدر الدين – لا شأن لك بهذا . هذه مسألة تعود لي انا .

جمال – الشائع انك صديق له . ومع ذلك انتقدته فقلت مثلاً : انه صحب زوجته الى لندن . وفُسر هذا الخبر في الاندية على انـــه خبر عدائي لصالح .

صدر الدين – قلت ان هـــذه المسألة تعود اليّ انا ، على اني لا افهم ما دخل الصداقـــة والعداوة في الموضوع ، فانا لم أتعود اقحام العواطف في المصالح العامة ، ولا افهم باية عقليـــة فسر الخبر المذكور .

جمال – طيب ، أتريد ان تعارض المعاهدة أم تؤيدها ؟

صدر الدين – لم اقرأها بعد ، وانت الذي سلمتني اياها قبـــل لحظات فكيف تريد أن أجيب على سؤالك هذا ؟

جمال – صدر الدين ، انا أقول لك بصراحة انا مكلف من قبل جهة عليا جداً بان أفاتحك في الموضوع واستعين بقلمك على تأييـــد المعاهدة ، واخبرك ان الاختيار لم يقـــع على غيرك والحكومة

محتاجة اليك اليوم فما رأيك ؟

صدر الدين – رأيي انكم جميعاً شاعرون بان المعاهدة جائرة ، ولا اكتمك انك خففت عني عبء قراءتها ، فاستطيع أن أقول لك منذ الآن انني معارض .

جمال – صدر الدين ، انا لا اعرفك من قبل معرفة شخصية ، ولكن كنت اسمع انك لست من طبقة هؤلاء الصحفيين ، وانا الآن أشهد انك فوق ما سمعت ، أتسمح لي ان أقدم لك عروضاً كي توافق على مؤازرتنا ؟ اقترح ما تشاء .

صدر الدين – اقترح ان تقفل هـــذا الحديث يا معالي الوزير وإذا انتهيت الى المساومة فينبغي ان نفترق ، وستجد أجراء كثيرين باسعار مهاودة ..! أما انا فأعرف لقلمي قيمة ترفعه عن هذه الاوهام .

ومشى معي الى الباب ، وكانت آخر كلمة قالها : أنا في الانتظار صباح السبت ، وآخر كلمة قلتها : انك على خطأ ، لن نجتمع بعد ، فدونك عبيد المال !